

أضواء البيان

. @ 439 @

ومعنى هذه الآية أن دين الكفار ، الذي هو الشرك بالله وعادة الأوثان ، مع حرصهم على صد الناس عن دين الإسلام إليه ما هم بفاتنين ، أي ليسوا بمضلين عليه أحداً لظهور فسادهم وبطلانه إلا من هو صال الجحيم ، أي إلا من قدر الله عليه الشقاوة وأنه من أهل النار في سابق علمه ، هذا هو الظاهر لنا في معنى هذه الآية الكريمة . .

وأكثر المفسرين على أن الضمير في قوله : { يُوْؤَفِّكُ عَنْهُ } راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو القرآن ، أي يصرف عن الإيمان بالنبي أو القرآن ، من أفك أي صرف عن الحق ، وحرّم الهدي لشدة ظهور الحق في صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن القرآن منزل من الله ، وهذا خلاف ظاهر السياق كما ترى . .

وقول من قال : يؤفك عنه . أي يصرف عن القول المختلف الباطل من أفك ، أي من صرف عن الباطل إلى الحق لا يخفى بعده وسقوطه . .

والذين قالوا : هذا القول يزعمون أن الإفك يطلق على الصرف عن الحق إلى الباطل ، وعن الباطل إلى الحق ، ويبعد هذا أن القرآن لم يرد فيه الإفك مراد به إلا الصرف عن الخير إلى الشر دون عكسه . قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ مُتَقَرِّبٌ إِلَى جَنّاتٍ وَعُيُونٍ } . لا يخفى على من عنده علم بأصول الفقه أن هذه الآية الكريمة فيها الدلالة المعروفة عند أهل الأصول بدلالة الإيماء والتنبيه على أن سبب نيل هذه الجنات والعيون هو تقوى الله والسبب الشرعي هو العلة الشرعية على الأصح ، وكون التقوى سبب دخول الجنات الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة ، جاء موضحاً في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى : { تِلْكَ الْجَنّاتُ الَّتِي أُدْخِلْتُ النَّاسَ فِيهَا لِيَعْلَمُوا أَنَّ هِيَ خَيْرٌ مِمَّا يَشْتَاؤونَ } وقد قدمنا الآيات الموضحة لذلك في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى : { لَهُمْ فِيهَا مَا يَشْتَاؤونَ كَذَلِكَ يُجْزَى الَّذِينَ كَفَرُوا } . .

7 ! 7 ! قوله تعالى : { وَفِي الْأَرْضِ رُحُومٌ لَا يَفْقَهُونَ } قد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة الجاثية . قوله تعالى : { وَفِي السَّمَاءِ رِزْقٌ لِّكُمْ وَمَا تَرْجَوْنَ } .